سينما

لبنان في قعر الانهيار

أوطن هو أم فندق أم قبر؟

يحتدّ السجال اللبناني الداخلي حول مسائل كثيرة، من دون بلوغ حلول جذرية تُخرج البلد وناسه من قعر الانهيار الكبير الذي يعانيه الجميع

نديم جرجوره

شريطٌ واحد، بدقائق قليلة، يؤدّي إلى سجالٍ غير نافع. كلام يتردّد منذ سنين، وحملة بشعة بحقّ الظاهرين فيه، وشعارات فولكلورية عن الهجرة والبقاء. دفاعٌ ينطلق من عاطفة وانفعال، موظّفاً إياهما في التزام سياسي ثقافي أخلاقي إزاء البلد وناسه. صانعة الشريط حاضرةٌ في الإعلام اللبناني، وفي النزاع العنفيّ الحاصل بين خارج على طائفته، وطائفته الرافضة خروجاً لأبنّائها عليها. السياسة، بمعناها اللبناني المبتذل، حاضرةٌ أيضاً في مناخ كهذا. الالتباسات واضحة. لكنّ لبنان بلد الغرائب في كلّ شيء. ديمة صادق تُنجز شريطاً يروي فيه لبنانيون قلائل، بدمعة وقهر وخيبة وألم، انكسارهم أمام بؤس العيش في بلدٍ يرون أنّه غير متوافق البتّة مع رغباتهم وطموحاتهم وأحلامهم. يريدون الهجرة، فتكون دمعة أو كلمة سبيلاً إلى وداعٍ مقتضب. بعض هؤلاء معروف في ساحات بيروت منذ «انتفاضة 17 أكتوبر» (2019) اللبنانية، وقبلها أيضاً. بعضهم منخرطٌ في الدفاع عن الحريات الإعلامية، المُكبّلة أكثر فأكثر، ويوماً تلو آخر. بعضهم يمتلك اختصاصاً ومهنة، ويرغب في مُتنفّس. أسلوب التعبير عن الخيبة والقهر قابلٌ للنقاش، لكنّ صدقاً ينبع من الذات، وكلّ صدقٍ يحمل ارتباكاً في التعبير، لهول اللحظة والمُصاب، وللتراكمات المؤدّية إليهما. لكنّ السجال خارج على هذا كلّه. افتراء وتحايل في تحليل شريط، غير مستحقّ أكثر من مُشاهدة، ثم... وداعاً أيها الأصدقاء.

تعبيرٌ واحدٌ يُستنبط من ماضٍ مجهول تاريخه: «لبنان ليس فندقاً، تغادره عندما تسوء خدماته». المساواة/ التشبيه المبطّن بين بلدٍ، يُفترض به أن يكون وطناً، وفندق، يرمز إلى سياحة وما تتطلّبه السياحة من موارد وأدوات ترفيهية، ينبش، ولو قليلاً، في تاريخ البلد وحاضره. لبنان ليس وطناً. هذا حاصلٌ ومعروفٌ ومتداولٌ منذ زمن بعيد، وكثيرون . بينهم بعض مهاجمي شريط ديمة صادق . يُدركون هذا ويقولونه في جلساتٍ مغلقة، أو سهراتٍ معلّقة. لا حاجة إلى فكرٍ سياسي وعلم اجتماعيّ وتفسير اقتصادي لمقولات «الوطن» و«الدولة الأمّة» و«الهوية» و«الانتماء» و«الجذور». الحالة غير مستأهلة كلاماً نظرياً في مسائل غير مُثيرة لاهتمام لبنانيٍّ يبحث عن قوتٍ «كفاف يومه». الواقع مرّ، ووضع الوطن في مقابل الفندق دافعٌ إلى انتقاداتٍ، بعضها ساخر، على «فيسبوك»، فلبنان مشهورٌ بكونه «أكبر فندق في الشرق الأوسط»، منذ ستينيات القرن الـ20 على الأقلّ.

الخراب اللبناني أصيل. الاضطرابات الحاصلة في محيطه الجغرافي، منذ استقلاله الناقص عام 1943، سببٌ في استقرار حياده المُثير للضحك والاستهجان، لهشاشته وفقدانه أي معنى حقيقيّ في مساحة عاصفة بالأهوال والأهواء، ولموحات كثيرين فيه إلى خارج يُكمل هوسهم بالقبيلة والطائفة والمذهب. الحيوية الناشئة فيه، قبل اندلاع حربه الأهلية (13 إبريل/ نيسان 1975)، نتاجُ تحوّله إلى فندق لمعارضين وثوّار ومناضلين ومنبوذين ومهرّبي رساميل وأموال من طغيان عسكرٍ وبطشِ ديكتاتوريات، ولا بأس بفنّ وثقافة وبعض علم نيِّر إلى جانب الأصل (الفندق). الانشقاقات المذهبية حاصلة، وإنْ تبقَ مستترة فلا تقنيات حديثة ولا إعلام مفتوحا يكشفانها، رغم أنّ نقاشات وتحرّكات عدّة تحاول تحقيق انقلابات في التفكير والسلوك والتربية والثقافة المعيشية، ضد طوائف ورأسماليين، ومن أجل حريات عامّة وإصلاحات مطلوبة. لكنْ منطق الفندق أقوى، حينها أيضاً. حراكٌ مُكرّر لتحسين شروط عيشٍ يفشل أمام سطوة لبنان الفندق، قبل اندلاع الحرب. ومع نهايتها الناقصة والهشّة، يستعيد الفندق حيويته، فلا أحد يرغب في الوطن أبداً. إمعان لبنان في ثنائية السياحة . الأموال (المصارف) عائقٌ أمام صُنع وطن ودولة فيه. يُفضّل أنْ يكون فندقاً، فالفندق أسرع ربحاً، والتجارة (صفة الفينيقيين الذين يُقال إنهم أجداد اللبنانيين) سمة هذه البقعة الجغرافية منذ آلاف السنين، مع ما تحمله مفردة تجارة من أولوية المال والمصالح الضيّقة على حساب بلد ووطن ودولة. تُدفع مبالغ لقاء الإقامة في الفندق، فيُمنح المُقيم ما يحتاج إليه من خدمات. لكنّ اللبناني يدفع مبالغ طائلة للعيش في «وطنه»، فلا يحصل على شيء البتّة. الوطن يحتاج إلى تكلفةٍ لبناءٍ يُحصَّن بدستور وقوانين وممارسات تُساوي بين الجميع، ويستحيل نقضها؛ والمذنب يُحاسَب عند انكشاف ذنبه، والمجتهد يُكافأ لالتزام أصول الاجتهاد. هذا مُكلف.

أقطاب البلد يرتاحون إلى المزرعة والقبيلة، فالأساس (استقلال ناقص) سببٌ، والتعلّق بالطائفة سببٌ، والخضوع لابتزاز رأس القبيلة سببٌ. كلّ شيء آخر يُثبت عجزه عن الحؤول دون الغرق في التشرذمات، رغم جهدٍ في عملٍ يريد وطناً ودولة، وجدّية عملٍ كهذا منوطةٌ بأفرادٍ في مراحل تاريخية مختلفة. الثقافة والفنون تتكاثر، لكنّ التراكم، الذي يُفترض به أنْ يؤدّي إلى صنع ركائز يُبنى عليها وطنٌ، معدومٌ. الفندق أبقى. الفندق أكثر راحة. الفندق أهنأ وأسلم. أفلامٌ وثائقية لبنانية عديدة (وبعض الروائي منخرطٌ في هذا أيضاً)، تُنجز منذ 20 عاماً على الأقلّ، تكشف عورات ماضٍ وانهيار حاضر وتفكّك علاقات وتمزّق اجتماع وسطوة قبائل وسلطة قهر وقمع. أفلامٌ تحفر في الجرح غير المندمل، فينكشف حجم القيح النازف من دون علاج. أفلامٌ تعود إلى الماضي لتسأل وتفهم، فينفضح الماضي بركاكة بنائه الهشّ وأكاذيبه المبطّنة.

بيروت 2020: الخاتمة؟ (حسين بيضون)

أفلام تكشف عورات وانهيارات وتفكّكاً وتمزّقات وقهراً

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

ألقاب عربية: جنون عظمة من دون عظمة

مُضحكة هي تلك الأوصاف والألقاب، التي يتعنّت النقد والصحافة السينمائيان المصريان في التمسّك بها، كتمسّك صناعة السينما بها أيضاً. أوصاف وألقابٌ لا طائل منها سوى الإمعان في التشاوف والتصنّع، مع أنّ مطلقيها يظنّونها تكريماً، فإذا بها مدعاة سخرية. أوصاف/ ألقاب تُمنح غالباً لنجوم في التمثيل، كأنّ يُقال «سيدة الشاشة العربية» (فاتن حمامة)، أو «وحش الشاشة العربية» و«ملك الترسو» (فريد شوقي)، أو «الحمامة الوديعة» و«ملاك السينما الطاهر» و«برنسيسة الأحلام» (مريم فخر الدين)، أو «نجمة الجماهير» (نادية الجندي)، أو «راهبة المسرح (والسينما)» (أمينة رزق)، أو «الساندريلا» (سعاد حسني)، أو «فارس السينما» (أحمد مظهر)، أو «الإمبراطور» وغيرها (عادل إمام)، أو «فينوس الدراما» (غادة عبد الرازق)، أو «الأسطورة» (محمد رمضان)، إلخ.

هذه عيّنة. الصحافة الفنيّة في مصر تعتمدها، كالنقد السينمائي والإعلام المرئيّ والمسموع. أوصاف أخرى توضع في «جينيريك» البداية: «ضيف شرف»، الترجمة غير الموفّقة أبداً للتعبير الإنكليزي: Guest Star. أو أنْ يُكتب «الممثل القدير» أو «النجمة» قبل الاسم. وماذا عن ألقابٍ تُلصق بنقّاد وصحافيين: الأستاذ الكبير، الناقد الكبير، الأستاذ الدكتور البروفسور، وكلّها ملصقة قبل اسم شخصٍ واحد؟ (يُقال إنّ في مصر إمكانية الحصول على تلك الرُتَب الجامعية كلّها معاً. عجبي).

هذا منسحبٌ على المسرح والغناء أيضاً. لكنّ اللقب أو الوصف أو التعبير الإضافي على الاسم لن يُفيد بشيء. فالفنان يملك وحده قدرة الحضور الطاغي في البيئة والاجتماع والثقافة والفنون، عبر ما يُنتجه من أعمال تُقرأ نقدياً وتنتشر جماهيرياً، والنقد والجمهور مقياسٌ يُعتدّ به إزاء العمل وصانعه. ألقاب كهذه حكرٌ على صحافة فنيّة مصرية (ولبنانية وسورية تحديداً) تنتقص من القيمة الأصلية للصحافة الفنية، التي يُفترض بها الابتعاد عن التسطيح والنميمة والنزاعات الساذجة بين أصحاب تلك الألقاب العفنة، وهذا معروف في صحافة فنية صفراء «تبرع» في صنعها أقلامٌ تنعدم فيها كلّ ثقافة ومعرفة ووعي.

أما «صُنّاع» أفلامٍ ومسلسلات مصرية (ولبنانية وسورية تحديداً)، فـ«يُجْبَرون» على وضع تلك الألقاب في «جينيريك» البداية، لأنّ النجم/ النجمة أكثر طغياناً على المشروع من المخرج والمنتج معاً، اللذين يتحمّلان مسؤولية بلوغ حالة مترديةٍ كهذه من الالتهاء بالألقاب، على حساب الجودة والبراعة وقواعد العمل ومتطلّباته الفنية والتقنية والدرامية والجمالية.

يبدو أنّ «جنون العظمة» ضاربٌ في سذاجة نجومية باهتة، إنْ يكن للعظمة الحقيقية مطرحٌ في هذا أصلاً.

ندي...

عادل إمام: القاب لامتناهية (خالد دسوقي/ فرانس برس)

مصير المهرجانات: «بانتظار غودو»

مشهد المهرجانات السينمائية العربية والدولية في ظلّ «كورونا» مضطرب. صالات سينمائية تُعلن استعادة نشاطها، ثم تُغلق أبوابها بسبب ارتفاع عدد الإصابات بالفيروس المستجدّ.

مهرجانات تؤجّل دوراتها الخاصّة بعام 2020، وأخرى تُصرّ على إقامتها، وبعضها منتمٍ إلى الفئة الأولى (مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي)، في مواعيدها المحدّدة سابقاً.

هذا يطرح تساؤلات، يبدو أنّها ستبقى معلّقة لفترة طويلة: كيف نواجه «كورونا»، بانتظار ما سيخترعه العلم والطبّ؟ بالانكفاء الدائم أمام انتشاره، أو بمواجهته رغم المخاطر، فتُفتح المرافق العامة، ويلتقي الناس مع التزام التباعد الاجتماعي واستخدام أدوات الوقاية؟ كيف يُمكن لنحو 1500 صحافي وناقد أنْ يُشاهدوا معاً فيلماً في مهرجان، داخل صالة مغلقة؟ أيضعون الكمامات ويرتدون القفّازات في مشهدٍ سوريالي يُصنع في استديوهات الخيال؟ من يتحمّل مسؤولية اجتماع مئات المُشاهدين في صالة مغلقة، أو حتى في صالة مفتوحة في الهواء الطلق، مع أنّ المخاطر فيها أقلّ؟

معطيات عدّة تشي بأنّ في الغرب عجزاً عن ضبط أمور السلامة العامّة. تقارير ومعلومات وأخبار تقول إنّ ارتباكاً غربياً يحصل في كيفية التصدّي لانتشار الفيروس، وأرقام المُصابين به تزداد يوماً تلو آخر. المخاطر حاضرةٌ في وسائل النقل أيضاً. فكيف السبيل إلى بلدٍ آخر، ومهرجان أوروبي، وصالات بعيدة؟ هذا حاصلٌ في الغرب. في معظم العالم العربيّ، الوضع أسوأ. رغم هذا، يريدون إقامة دورات جديدة لمهرجاناتهم، في بلدانٍ عاجزة عن حماية مواطنيها من خطر الفيروس وتفشّيه.

لا أحكام ولا محاسبة. التساؤلات مشروعة. الإجابات معلّقة. الضياع متحكّم. الرغبة في الخلاص مؤكّدة.

الشوق إلى سفرٍ ومهرجانات ولقاءات ومشاهدات وصالاتٍ وسهراتٍ أقوى من أي شيء آخر. لكن الواقع مرير، والمسار يؤشّر إلى تفاقم خطر. لذا، لا شيء يُفيد الآن غير الانتظار، وإنْ يُخشَ أنْ يكون الانتظار حكراً على... «غودو».

ندي...

أقوالهم

شكّل إنغمار برغمان وأكيرا كوروساوا وعيي السينمائي. والدي كان يحبّ مشاهدة أفلامهما، ويُقدِّر السينما لكونها فنّاً. اعتدتُ مشاهدة أفلامهما معه. شدّتني إلى برغمان الفلسفة العميقة التي تنطوي عليها أفلامه. ثم اكتشفتُ لوي بونويل. بعد مشاهدتي «السحر الخفيّ للبورجوازية»، قرّرت أنْ أصبح سينمائية.

جيسيكا هاوزنر

حينها، كانت السينما للجميع. ازدهرت سينما «الصيفي»، وارتادها الناس جميعهم، فثمن التذكرة زهيد. مراراً، هربت من المدرسة لمشاهدة الأفلام. مدرّس اللغة الفرنسية في مرحلة التعليم الثانوي عاشق للسينما. كان يأذن لي مراراً بالهروب من حصّته التي تسبق استراحة الظهيرة. كنتُ أشاهد الفيلم، وأهرع إليه لأخبره عنه.

محمد خان

خلال المراهقة، أردتُ أنْ أكون رسّاماً. بدأت حياتي المهنية رسّاماً. سألني صحافي إيطالي ذات مرة: «لماذا بدأتَ رسّاماً ثم اتّجهتَ إلى الإخراج؟». قلت له إنّ غياب الموسيقى التصويرية في الفنّ التشكيلي مخيبٌ لي. ماذا كان بإمكاني أنْ أفعل من دون موسيقى؟

بيتر غرينواي

أفعالهم

The Old Guard **لجينا برانس . بايثوود** (الصورة): منظّمة سرّية تناضل منذ سنين طويلة لحماية البشر، تنخرط حالياً في مهمّة خطرة تهدف إلى حماية أسرارها التي بدأت تنكشف أمام العالم، ما يُشكّل تهديداً جدّياً بالقضاء عليها وعلى أفرادها الذين يتوارثون «المهنة» منذ أجيال طويلة. يُقرّر صديقان العمل معاً لحماية «الخالدين» من أعدائهم المحتملين.

Spies In Disguise فيلم تحريك لنِكْ برونو وتروي كوان، بأصوات ويل سميث وتوم هولاند و**رشيدة جونز** (الصورة): يُعتبر لانس سترلينغ أحد أفضل الجواسيس في العالم. بعد تعرّضه لتحدّيات غير مُساعدة له في مهمته الأخيرة (استعادة طائرة عسكرية من دون طيّار)، يلوم العالِم على فشله، ثم يجد نفسه متّهماً بالخيانة.

«نورا تحلم» لهند بوجمعة، تمثيل **هند صبري** (الصورة): أمام نورا 5 أيام للحصول على طلاقها من زوجها المسجون بتهم مختلفة. مغرمة هي بشابٍ آخر، وتُعنى بأولادها وتجتهد في عملها. لكن المصائب كثيرة، وخروج زوجها من السجن قبل الطلاق يزيد الطين بلّة.